ذكرياتي وحدي

مولاي أحمد، والدي، كان يقطن مع عائلته في طفولته المبكرة في قرية "ميبلادن" وهي قرية تابعة لعمالة ميدلت، كان يشتغل بشركة لمستعمرين أجانب مع جدي وبعض الأعمام وآخرين، لا قرابة غير قرابة الوطن والفقر كانت تجمعهم ، أذهب عمله في التنقيب عن المعادن النفس النقي للرئتين، فقد مرض ب:" السيليكوز"، هذا المرض الذي حول رئتيه لإفرازات دموية تنتج عن السعال الشديد الذي كان يفزعنا كلما اشتد، الغريب في الأمر أنه لم يشتد إلا بعد مرور عمر من مغادرته وعائلته قرية مبلادن، للبيضاء، أغلقت حينها الشركات الأجنبية ولم يعد هناك مجال للعمل، فاتجه للصيد حاول أن يعبر البحر مرة فأعادته السلطات الإسبانية بعد سجنه ثلاثة أشهر بسبب الهجرة غير الشرعية، ثم عاد ليشتغل بأحد المعامل الصناعية الكبرى بالبيضاء و المتخصصة في صناعة إطارات السيارات، غير أن جسده الضعيف لم يكن وفيا له كفاية، فقد عاد المرض من جديد واشتد بسبب التدخين.. كانت أمي تنهاه كثيرا عن التدخين خوفا عليه، لكن لم يكن ليمتنع بل كان يدخن جهارا، كميات كبيرة من النيكوتين والتبغ يرسلها لرئتيه المريضتين كل يوم، أكثر حتى من نسبة

الأكسجين النقي الذي يعبر إليهما. ناهيك عن التلوث المفرط لهواء هذه المدينة الصناعية، كان هواء مدينة ميدلت نقيا وكانت قريتنا ميبلادن هادئة ينام الطير في حضنها حتى الظهيرة.

لازلت أتذكر شيطنتي عندما كان والدي يبعثني لأقتني له أصابع السجائر، كنت أنتظر ريثما ينهيها وأصلي من كل قلبي أن يبقي فيها الشيء الكثير لأختبر تلك اللفافة التي يتشاجر مع والدتي لأجلها وكأنها أنثى أخرى ستسلبها قلبه دونها. كان يلقيها مشتعلة ويمضي، وكنت آخذها بعده، وأركض لدورة المياه ثم أحكم إغلاق الباب علي وأحاول أن أدخنها بنفس طريقته، أحاول أن أستنشقها بفمي وأخرج رائحتها من أنفي، وكان الزكام يشتد علي، كنت أترك صنبور الماء مشتعلا ليغطي خريره صوت زكامي، ثم أعيد الكرة من جديد دون أن أفهم سر عشقه وإدمانه على السجائر. لم أكن الوحيدة التي تحاول ذلك، فقد رأيت مرة طفلا صغيرا يطلب من ابن الجيران أن يعطيه السيجارة ليختبرها قائلا:

-عطيني ندير أوف.

إن الأمر مرتبط باكتشاف العالم المحيط، لم يكتشف أحد حينها أني أدخن لفافات السجائر التي يتركها والدي، لكن لم أحاول ولا مرة أن أقتنيها لنفسي. حاولت مرة تشريح السيجارة فوجدتها مليئة بالنيكوتين والقطران والتبغ، وعلمت أن الأشياء

المستعملة بداخلها كانت تستعمل من أجل مداواة صداع الرأس، كانت دواء ملكيا، لكنها كانت من أسباب هلاك والدي بعد معاناة المرض الناتج عن العمل في مناجم وكهوف المعادن بقرية ميبلادن، كنت أحتاجها لأتذكره، كنت أحتاجها، مهما آذتني أحتاجها. ربما علاقتي بها أصبحت علاقة صداقة بطريقة أو بأخرى، لعلني أحتاج لسلك نفس سبيل هلاك والدي، فأحيانا إن تقاسمنا معاناة نهاياتنا أحسسنا ببعضنا أكثر.